علماء وأدعياء

تأليف

فضيلة الشيخ / بندر بن خلف العتيبي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

اعتنى به

أبو عبد الإله / بندر فهد الايداء

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ/٢٠٢٠م


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده،والصلاة والسلام على نبي الرحمه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا أما بعد :

فهذا الكتاب الموسوم بـ (بعلماء وأدعياء) أصلهُ محاضرةٌ أُلقيت قبل عقد ونصف في جامع خادم الحرمين بمدينة الخبر،وتحديدا بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤٢٦هـ، وقد أُلقيت في زمن رأيتُ فيه أثر اللوثات الخارجية المخالفة لمنهج السلف الصالح، والتي انتشرت بين الشباب خاصة، وكان أعظمها الفتنة الكبرى (الطعن في العلماء) ونزع الثقة منهم، وعدم الرجوع إليهم، وتلك لعمر الله بوابة الهلاك الموصل إلى التكفير، وسفك الدماء والخروج على المسلمين وولاتهم، كما سيتضح لك أيها القارئ الكريم أثناء قراءة هذا الكتاب، فبالاستقراء لكل فتنة ماضية، أو في واقعنا، تجد أن القاسم المشترك بين هؤلاء الضّلال، نزع الثقة من العلماء، والطعن فيهم، ولمزهم، والزهد في علمهم، ورأيهم، فيعقب ذلك دواهي وأمور تشيب لها النواصي، وتجعل الحليم حيران والله المستعان، وقد نفع الله بهذه المحاضرة من شاء من عباده، وقد شافهني بعضهم بذلك، وسمعتُ من فضلاء أهل العلم ما يوجب شكر المنعم المتفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا يفوتني في هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لأخي أبي عبدالإله بندر فهد الايداء على عنايته الفائقة بإخراج هذه الكتاب وتحقيقه، ومتابعته حتى يسر الله إخراجه بهذه الصورة، فله منّي جزيل الشكر وصادق الدعاء.



وأرجو الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بأصله، وأن يجعله مقبولا مباركًا، والحمد لله أولا وآخراً .

كتبه

أبو عبد اللّه / بندر بن خلف بن عايض العتيبي

١٥ / ١١ / ١٤٤١هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم ضال تائه قد هدوه، فلله ما أحسن أثرهم على الناس، ولكن ما أسوأ أثر المخذلين عليهم، العلماء هم أئمة الأنام وزوامل الإسلام، الذين حفظوا

---

(١) آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) النساء الآية ١.

(٣) الأحزاب الآيات ٧٠-٧١.

على الأمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغير والتكدير موارده ومناهله، وقد تواردت أدلة الكتاب الكريم والسنة المطهرة على الإشادة بفضل العلماء والإشارة بعلو مقامهم فمن ذلك قوله تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾(1)، وقال تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾(2)، ففي هذه الآية الكريمة استشهد الله تعالى بأولي العلم من خلقه على أجل مشهود عليه وهو توحيده وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

١) استشهادهم دون غيرهم من البشر.

٢) اقتران شهادتهم بشهادته سبحانه.

٣) اقترانها بشهادة ملائكته.

٤) أن في هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

ومن فضلهم أنه سبحانه نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار فقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(3)، وقال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾(4)، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم، ومن فضلهم أنه سبحانه أمر بسؤالهم، والرجوع إلى أقوالهم، وجعل ذلك كالشهادة منهم فقال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا

(١) المجادلة الآية ١١.

(٢) آل عمران الآية ١٨.

(٣) الزمر الآية ٩.

(٤) الحشر الآية ٢٠.



﴿نُوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾[1]، وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل الله على الأنبياء.

وأخبر سبحانه أنهم أهل خشيته بل خصهم من بين الناس بذلك فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾[2]، وهذا حصر لخشيته في أولي العلم، فهذا طرف مما جاء في كتاب الله تعالى في فضلهم وبيان منزلتهم.

وأما السنة فهي كثيرة جداً ومن أبرز ما جاء في فضل العلماء ماورد في الصحيحين من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**»[3]، وهذا يدل بمفهوم المخالفة على أن من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيراً ومن أراد به خيراً فقهه في دينه.

وروى الترمذي في سننه والطبراني في الكبير وهو في صحيح الجامع عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير**»[4].

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا: لما كان تعليمه للناس الخير سببا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم، جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببا لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرا لدين الرب وأحكامه ومعرفا لهم بأسمائه وصفاته، جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته عليه ما يكون تنويها

---

(١) الأنبياء الآية ٧.

(٢) فاطر الآية ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧١ ومسلم ١٠٣٧.

(٤) صحيح الجامع ١٨٣٨.



به وتشريفًا له وإظهارا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض.آهـ[1].

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا وتوقيراً وإكرامًا، لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهذا يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له رضا ومحبة وتعظيمًا، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء**» فإنه لما كان العالم سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصوراً على هذا وكانت نجاة العباد على يديه، جُوزي من جنس عمله، وجعل من في السموات والأرض ساعيًا في نجاته من

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٥).

(٢) رواه أبو داود ٣٦٤١ والترمذي ٢٦٨٢ وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٣٠٩٦ وصحيح ابن ماجه برقم ١٨٢ .



أسباب الهلكات باستغفارهم له وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين، فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم، وقوله: «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**» تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب، فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره إلى العالم، وهذه حال العالِم وأما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه، أو ما قرب منه وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوزه غير بعيد كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزةً يسيرة وأما تشبيه العلماء بالنجوم[1]، فإن النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وكذلك العلماء والنجوم زينة في السماء فكذلك العلماء زينة في الأرض وهي رجوم للشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع لئلا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد إلى الرسل من الله على أيدي ملائكته و، كذلك العلماء رجوم لشياطين الإنس والجن، الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشياطين ولولاهم لطمست معالم الدين بتلبيس المضلين، ولكن الله سبحانه أقامهم حراساً وحفظة لدينه، ورجوماً لأعدائه وأعداء رسله، فهذا وجه تشبيههم بالنجوم وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**» هذا من أعظم مناقب أهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله

فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته - إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده - ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناسب إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو في ميراث النبوة والله يختص

(١) تشبيه العلماء بالنجوم لم يأت به نص وإنما هو من كلام العلماء والله أعلم.



برحمته من يشاء وفيه أيضاً إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين وبغضهم مناف للدين كما هو ثابت لمورثيهم وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداةٌ ومحاربة لله كما هو لمورثيهم.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: «**من عادى لي وليـاً فقد بارزني بالمحاربة ...**» الحديث[1]، وورثة الأنبياء سادات أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء وطريقتهم في التبليغ من الصبر والاحتمال ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان والرفق بهم واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق وبذل ما يمكن من النصيحة لهم، فإنه بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره، الجليل خطره. آهـ[2].

العلماء وجوههم مشرقة نضرة، فهم أشرح الناس صدوراً، وأطيب الناس عيشـاً، وأحسنهم أخلاقـاً، فقد دعا لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله والطاعة لذوي الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[3].

فهم أنضر الناس وجوهـاً، وأشرفهم مقامـاً قال أبو سليمان الخطابي: قوله «**نضر الله امرأً أو عبداً**» - كما في هذا اللفظ - معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة

(١) رواه الطبراني عن أبي أمامة والبيهقي عن أبي هريرة وأصله في البخاري ٦٥٠٢ بلفظ « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ... الحديث.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٦-٦٧).

(٣) رواه الترمذي في كتاب العلم ٢٦٥٨ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ٢٤٨٠ .



والبهجة وقيل معناه حسن الجاه والقدر في الخلق[1].

فالعلماء هم حماة الدين، وأعلام الإسلام، وحفظة آثاره الخالدة، وتراثه المذخور، إنهم حفاظ السنة وحملة الشريعة، إنهم أعظم الناس خشية للعلام، وأكثرهم بركة على أهل الإسلام، قد عنوا بضبط الحلال والحرام، فهم في الأرض كالنجوم للسماء، وكالدواء للداء، وكالضياء للظلماء، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين - تفسيرات الجهلة للنصوص الشرعية - ينفون هذا كله، ويبينون زيفه، هم سراج الأمة، إنهم أرحم بأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آبائهم وأمهاتهم لأن الآباء والأمهات إنما يحفظون أولادهم من نار الدنيا والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة، إنهم ورثة الأنبياء فيا لله ما أعظم الميراث!! وأسعد الوارث.

روى أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٠) عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيدي فأخرجني ناحية الجبانة فلما أصحر[2] جعل يتنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير إحفظ عني ما أقول: الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم

ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خزان

(١) معالم السنن (٤/ ١٨٧).

(٢) أصحر: أي خرج إلى الصحراء.



الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ... إلى آخر ما ذكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم: وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم[١].

وقال ابن كثير في تاريخه: قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات[٢].

نقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مفتاح دار السعادة بعد سياق هذا الأثر:** وقال أبو بكر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً وتقسيم أمير المؤمنين للناس في أوله تقسيم في غاية الصحة ونهاية السداد لأن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام التي ذكرها مع كمال العقل وإزاحة العلل إما أن يكون عالماً أو متعلماً أو مغفلاً للعلم وطلبه ليس بعالم ولا طالب له، فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه.

قال ابن الأعرابي: إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل له هذا رباني، فمن حرم من خصلة منها لم نقل له رباني وأما المتعلم على سبيل النجاة فهو الطالب بتعلمه والقاصد به نجاته من التفريط في تضييع الفروض الواجبة عليه، والرغبة بنفسه عن إهمالها واطراحها والأنفة من مجالسة البهائم، وأما القسم الثالث فهم المهملون لأنفسهم الراضون بالمنزلة الدنية والحال الخسيسة التي هي في الحضيض الأوهد والهبوط الأسفل، التي لا منزلة بعدها في الجهل، ولا دونها في السقوط وما أحسن

(١) (جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٢).

(٢) (البداية والنهاية ١٢/ ٣٣٥).



ما شبههم بالهمج الرعاع وبه يشبه دناة الناس وأراذلهم[1].

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحن نشير إلى بعض ما في هذا الحديث من الفوائد نذكر منها: قوله (الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع) هذا تقسيم خاص للناس وهو الواقع، فإن العبد إما أن يكون قد حصل كماله من العلم والعمل أو لا، فالأول العالم الرباني، والثاني إما أن تكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال ساعية في إدراكه أو لا، وهو المتعلم على سبيل النجاة، والثالث هم الهمج الرعاع فالأول هو الواصل والثاني هو الطالب والثالث هو المحروم ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القسم الثالث: المحروم المعرض فلا عالم ولا متعلم بل همج رعاع، والهمج من الناس هم حمقاؤهم وجهلتهم وأصله من الهمج جمع همجه، وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والدواب وأعينها، فشبه همج الناس به، والرعاع من الناس الحمقى الذين لا يعتد بهم.

وقوله: (أتباع كل ناعق) أي من صاح بهم ودعاهم تبعوه سواء دعاهم إلى الهدى أو إلى ضلال، فإنهم لا علم لهم بالعلم الذي يدعون إليه أحق هو أم باطل فهم مستجيبون لدعوته وهؤلاء من أضر الخلق على الأديان، فإنهم الأكثرون عددا، الأقلون عند الله قدراً، وهم حطب كل فتنة، بهم توقد ويشب ضرامها، فإنها يعتزلها أولوا الدين ويتولاها الهمج الرعاع، وسمي داعيهم ناعقاً تشبيها بالأنعام التي ينعق بها الراعي فتذهب معه أينما ذهب، وهذا الذي وصفهم به أمير المؤمنين هو من عدم علمهم، وظلمة قلوبهم فليس لهم نور ولا بصيرة يفرقون

---

(١) الفقيه والمتفقه: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ (١/ ١٨٢ - ١٨٣ رقم ١٧٦).



بها بين الحق والباطل بل الكل عندهم سواء .

وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: (يميلون مع كل ريح) وفي رواية (مع كل صائح) شبه عقولهم الضعيفة بالغصن الضعيف وشبه الأهوية والآراء بالرياح والغصن يميل مع الريح حيث مالت وعقول هؤلاء تميل مع كل هوى وكل داع ولو كانت عقولاً كاملة كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تتلاعب بها الرياح ... الخ. رَحِمَهُ اللَّهُ وقد أطنب ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا الأثر شرحاً ماتعاً فراجعه إن شئت في كتابه القيم مفتاح دار السعادة (١/ ٤١٣-٤١٥).

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص ٧٢): وقال ابن وهب حدثني عبد الرحمن بن شريح قال سمعت عبدالله بن أبي جعفر يقول: العلماء منار البلاد منهم يقتبس النور الذي يهتدى به.

وقال ميمون بن مهران: بنفسي العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء(١).

وعن عون بن عبدالله قال: قلتُ لعمر بن عبد العزيز: يقال: إن استطعت فكن عالمًا، فإن لم تستطيع فكن متعلمًا، وإن لم تستطع فأحبهم، وإن لم تستطع فلا تبغضهم فقال عمر بن العزيز: سبحان الله! لقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ له مخرجاً(٢)، والعلماء هم عصمة للأمة من الضلال وهم سفينة نوح من تخلف عنها لا سيما في زمان الفتن كان من المغرقين.

وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢١.

(٢)رواه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتابه العلم رقم ٢ ص ٦-٧.



«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا يزال عالم يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلون عن سواء السبيل(٢).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اطرد الليل والنهار(٣).

وقال هلال بن خباب: سألت سعيد بن جبير قلت يا أبا عبدالله: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم(٤).

وقال سفيان بن عيينة : وأي عقوبة أشد على الجهل أن يذهب أهل العلم(٥).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء(٦).

قال الإمام أبو بكر الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: فما ظنكم رحمكم الله بطريق فيه آفات كثيرة ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم فسلكوه على السلامة والعافية ثم جاءت

---

(١) رواه البخاري ٧٣٠٧ ومسلم ٢٦٧٣.

(٢) جامع بيان العلم ٢١٦ .

(٣) جامع بيان العلم ص ٢١٣ .

(٤) رواه الدارمي في سننه في كتاب العلم ٢٤٧.

(٥) شرح السنة (١/ ٣١٨)

(٦) جامع بيان العلم ٢٤٦ .



طبقات من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا فبينا هم كذلك إذ طفئت المصابيح فبقوا في الظلمة فما ظنكم بهم، هكذا العلماء في الناس لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء فإذا مات العلماء تحير الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل[(١)].

هذه نتف يسيرة وطرف من فضائل العلماء في الكتاب والسنة ثم في أقوال أئمة الهدى ومصابيح الدجى والمقام لا يتسع لأكثر من هذا لكن القضية المهمة والتي ينبغي أن تعلم وتدرس هي: من هم العلماء؟؟ ونحتاج ذلك في هذا الزمن حاجة ماسة لأن كثيراً من الناس لا يعرف الضوابط التي يكون من التزمها عالماً تنزل عليه هذه الفضائل ويجعل في المنزلة التي يحبها الله ويرضاها إن حاجة الناس إلى تعريف العالم من الأهمية بمكان!! لأنهم إذا جهلوا من هو العالم دخل الصفوف من ليس منهم ووقعت الفوضى التي نتجرع الآن غصصها، ونشهد مآسيها في كثير من القنوات وغيرها، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، من الناس من يعتقد أن العالم من بهر الناس بخطبة رنانة، أو محاضرة فصيحة، أو أسلوب ساحر في كلمة ما أو نحو ذلك ومن الناس من يعتقد أن العالم من ألّف رسالة أو رسالتين أو كتب مجلداً أو مجلدين أو حقق مخطوطة أو عشر مخطوطات، نعم هذا معيار العالم عند كثير من الناس وهذا المعيار خطأ واضح جلي فإن العالم هو من: ألـمَّ بجملة أحكام الشريعة، وعلم الناسخ من المنسوخ، والمطلق من المقيد، والمبين من المجمل، والعام من الخاص ونحو ذلك قد اطلع على أقوال السلف وما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه، يعرف المسألة التي أجمعوا عليها حتى لا يخالف،

---

(١) كتاب أخلاق العلماء للإمام أبي بكر الآجري المتوفى ٣٦٠ هـ صفحة ٩٦.



وما الذي اختلفوا فيه حتى يسعه النظر والترجيح إن كان من أهل الترجيح.

وقد نقل العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الصغير حجماً العظيم نفعاً وقدراً (فضل علم السلف على الخلف) نقل كلاماً ينبغي أن يطلع عليه كل مسلم مريدٍ للحق، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا - أي التوسع في الكلام والتوسع في المسائل - وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذفه الله في القلب يفهم به العبد الحق ويميز بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارة وجيزة محصلة للمقاصد ..... إلى أن يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيجب أن يعتقد أن ليس كل من بسطه للقول وكلامه في العلم أكثر كان أعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم بكثرة بيانه ومقاله ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين ... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبة لهم إلى الجهل والقصور في العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى المقصود من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وتأمل كلام رجل من علية أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وإن بعدكم زماناً كثيراً خطباؤه والعلماء فيه قليل) أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم وقال عنه محقق جامع بيان العلم إسناده صحيح ورجاله ثقات[٢].

(١) فضل علم السلف على الخلف صفحة ٥٧- ٥٨ .

(٢) أخرجه أبو خيثمة في العلم (١٠٩) وإسناده صحيح ورواه الطبراني في الكبير (٨٥٦٦) بنحوه وسنده جيد ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩) بلفظ مقارب وإسناده قوي وصححه الحافظ في الفتح (١٠/ ٥١٠).



وأخرج مالك في الموطأ في كتاب السفر عن يحيى بن سعيد أن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لإنسان (إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهوائهم قبل أعمالهم)[(١)].

ولذلك عقد الإمام الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه جامع بيان العلم وفضله باباً فيمن يستحق أن يسمى فقيهاً أو عالماً، و لا شك أن هذا قد أنفق وقتاً طويلاً في التعلم، وفي ثني الركب عند العلماء، وله رسوخ في العلم، صاحب خشية، صاحب عقل وبصيرة، فأهل العلم هم أصحاب البصيرة الذين أوتوا الحكمة، فهم يقضون بها، ويعلمونها للناس، وهم أوفر الناس حظاً من قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾[(٢)] وبهذه البصيرة يتفرسون، ويستشفون عواقب الأمور، ولا تستفزهم البداءات، ولا تنطلي عليهم الأباطيل، فالفتنة إذا أقبلت بيّنها العالم ببصيرته وعلمه، وإذا أدبرت عرفها الجميع ولكن بعد ماذا!! بعد الخراب والفساد!! وفي التاريخ القديم والحديث عبرة وأي عبرة !

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٤١٧) ولم يدرك يحيى بن سعيد عبد الله بن مسعود، قال علي بن المديني في العلل: لا أعلمه سمع من صحابي غير أنس . ويروى من طريق آخر بنحوه عن ابن مسعود موقوفاً عند البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩) وقال الألباني: حسن في صحيح الأدب المفرد، وصححه الحاكم على شرط الشيخين بنحوه (٤/ ٥٢٩).

(٢) يوسف الآية ١٠٨.



العلماء يردون المتشابه إلى المحكم، ويأتي لك بالفهم الصحيح، ولهذا مهم جداً أن تعرف من هو العالم حقاً، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ففي حديث أبي أمية الجمحي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن من أشراط الساعة ثلاثـاً - إحداهن - أن يلتمس العلم عند الأصاغر»**.[1]

قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير[2].

ولِلسلف في تفسير معنى الأصاغر أقوال:

قال ابن عبد البر: وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في الحديث إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده وإن الكبير هو العالم في أي شيء كان[3].

وسئل ابن قتيبة عن معنى حديث ابن مسعود فقال: يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث[4].

وقال عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الأثر الصحيح عنه (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أكابرهم فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم هلكوا)[5].

(١) حديث حسن: أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦١) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٠٢) والطبراني في الكبير والحافظ عبد الغني المقدسي في العلم (٢/ ١٦) وله شاهدان موقوفان لهما حكم الرفع كما في أثر ابن مسعود وصححه الألباني في السلسلة برقم ٦٩٥.

(٢) (بيان جامع العلم وفضله لابن عبد البر ص ٢٠١).

(٣) جامع بيان العلم صفحة ٢٠٣.

(٤) نصيحة أهل الحديث للخطيب البغدادي صفحة ٣٠.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٨٥٨٩) ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٤٦)، وقال عنه الهيثمي: رجاله موثقون.



فإذا أضيف إلى ذلك بعد نظر ومعرفة ومراعاة للمصالح والمفاسد وتجربة وحنكة فلا شك ولا ريب أن السداد حليفه بإذن الله تعالى .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كان المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه فقد كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها[1].آه

ثم إن التثبت والتأني والنظر في العواقب من سمات أهل العلم والعقل ولا يستغني عنها أحد مهما كان ولا يكفي مجرد علم اللسان بل لا بد له مع العلم من هذه الأمور.

وإليك هذه الحكمة الرائعة التي رقمتها يراعة العلامة الشيخ محمود شاكر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رب رجل واسع العلم بحر لا يزاحم، وهو على ذلك قصير العقل، مضلل الغاية، وإنما يعرض له ذلك من قبل جرأته على ما ليس له فيه خبرة، ثم تهوره من غير روية ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل، وإن أحدنا ليقدم على ما يحسنه على الذي يعلم أنه به مطلع، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء، كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت، فإذا هو يعود إلى ما أقدم عليه فينقضه نقض الغزل، ومن آفة العلم في فن من فنونه، أن يحمل صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المتنزه، ثم لا يلبث أن يفسده طول

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ١٥-١٦).



التمادي في إعجابه بما يحسن من العلم، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرؤى فيما لا يحسن، ثم لا تزال تغيره عادة الإعجاب بنفسه، حتى ينزل منزلة مالا يحسن، منزلة ما يحسن، ثم يصر، ثم يغالي ثم يعنف، ثم يستكبر، ثم إذا هو عند الناس قصير الرأي والعقل على فضله وعلمه[1]. آه

فلا مناص يا إخواني وأخواتي من الرجوع إلى العلماء خاصة وقت الفتن والله المستعان.



(١) مجلة الرسالة عدد ٥٦٢ إبريل ١٩٤٤، وانظر جمهرة مقالات محمود شاكر ١/ ٢٥٨ إعداد د. عادل سليمان جمال .



الأدب مع العلماء

إن التأدب مع العلماء الموقعين عن رب العالمين، هو تأدب مع الله تعالى وتعظيم العلماء تعظيم لشعائر الله وقد قال الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] والشعيرة هي كل ما أشعر الله سبحانه بتعظيمه من أعلام الدين وتوقير حملة الشرع وحماته من توقير الشارع نفسه عَزَّوَجَلَّ.

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» رواه أحمد ٢٢٧٥٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع[2].

وقد بلغ أمر تعظيم العلماء ووجوب صيانة تاريخ أكابر المسلمين إلى حد النص عليه في متون الاعتقاد التي لا تضم إلا أمهات القضايا العقدية المتفق عليها عند أهل السنة بحيث لا يخالف فيها إلا شاذ خارج عن الجماعة.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المشهور الموسوم بالعقيدة الطحاوية: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل). آه[3].

فتذكر أن من ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل ولهذا قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

(١) الحج الآية ٣٢ .

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٤٤٣.

(٣) العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى ٢٣٩ هـ صفحة ٣٠.

(٤) الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي المتوفى ٧٢٢ هـ.



﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾[١].

يقول طاووس بن كيسان صاحب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مِن السُنَّة أن يوقَّر أربعةٌ: العالمُ، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد[٢].

فهذا منهج السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم يحترمون العلماء ويجلونهم ويقدرونهم لأن هذا من إجلال الله سبحانه وتأمل هذين الموقفين لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن الحسن قال: رؤي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأخذ بركاب أبي بن كعب فقيل له: أنت ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأخذ بركاب رجل من الأنصار! فقال: إنه ينبغي للحبر أن يعظم ويشرف[٣].

وأمسك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بركاب زيد بن ثابت فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء[٤].

❊❊❊

(١) النساء الآية ١١٥.

(٢) جامع بيان العلم (١/ ٤٥٩).

(٣) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٨٨).

(٤) جامع بيان العلم (١/ ٤٥٦).



الوقيعة في العلماء

الغيبة ضيافة الفساق كما قال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد نقل بعض أهل العلم على أنها كبيرة من الكبائر وقال آخرون هي كبيرة إن كانت في طلبة العلم وحملة القرآن(١).

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(٢).

وسمع علي بن الحسين رجلاً يغتاب آخر فقال: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس(٣).

وعن عبدالعزيز بن أبان أن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إياك والغيبة إياك والوقوع في الناس فيهلك دينك(٤).

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده(٥).

وعن عبد الله بن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثـًا:

١) هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار .

٢) ولزوم الجماعة.

---

(١) نص على هذا الشافعية، راجع مغني المحتاج لشمس الدين الشافعي ٤/ ٤٢٧.

(٢) أخرجه أحمد ١٣٣٤٠ وأبو داود ٤٨٧٨ وصححه الألباني في السلسلة ٥٣٣.

(٣) (رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٥/ ١٩٣).

(٤) رواه ابن أبي الدينا في الصمت ص ٢٠٦ رقم ١٧١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٥/ ١٣٧).



٣) والكف عن أعراض المسلمين[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول. آه[٢] فما ظنكم بعد هذا يا معشر الإخوة والأخوات إذا كان الطعن في ورثة الأنبياء.

إننا نرى اليوم ونسمع أناسـاً انسلخوا من أخلاق السلف، كما تنسلخ الحية من جلدها، لا يراعون للعلماء حرمة، أناس فضوليون يكثر لغطهم وصياحهم، ويقل عملهم، وتصبغ مجالسهم بصبغة الغيبة، وخشونة الألفاظ، حتى تكون تهورات اللسان أمراً مستساغـاً، وتغتال فضائل المجالس الإيمانية اغتيالاً، وليس ذلك من تربية السلف أبداً، ولا السمت الذي ورثوه، فقد ورثوا توقير العالم والأدب معه، وعفاف اللسان، والتأويل الحسن، وحسن الظن، وترجيح العذر، والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان، وتكرار الدعاء للعلماء، وحفظ حقوقهم وأما ضعاف النفوس فلأنهم يشعرون بضآلة أنفسهم، فقد تميزوا غيظـاً، لما رأوا قممـاً شاهقة، وهم سفوح واطئة، فأرادوا هدم القمم حتى تتساوى الرؤوس على السفوح الخفيضة، وحسبوا أنهم لن يصعدوا إلا على أشلاء العمالقة، ثم ينصبون مشانق التجريح لإلغاء الثقة في علماء الأمة، ويتعاطون غيبتهم، ويتداولونها ويدار عليهم بها، كما يدار بكأس الماء على العطشى، فمقل ومستكثر .

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٤١).

(٢) الداء والدواء لابن القيم الجوزية صفحة ٢١٧.



أحدهم يعيّر العلماء بأنهم فقهاء الحيض والنفاس.

وآخر يخاطبهم قائلاً متى تخرجون من فقه المراحيض ودورات المياه.

وثالث يدعي أن تكفير العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البديهيات التي لا تحتاج إلى نقاش!!

وآخر يقول: إن فلاناً من العلماء يدمر شباب الأمة ... لماذا؟ لأنه خالف بفتواه أهوائهم، ولغيرته على معتقد السلف، وشدة وطئته على أهل الأهواء، وهذا العالم الرباني المقدوح فيه قد أوصى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز قبل موته كثيراً .

فإذا سمعت من يقع في هذا البلاء بعد هذه النصوص والآثار، فارحمهم، وانصح لهم وارفق بهم، واحمد الله الذي عافاك، وقد يُدخل على هؤلاء المبتلين بهذا بدافع الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة، هلك فيها من هلك وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج والمعتزلة، ثم جاءت جماعات التكفير وغيرهم، الذين لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر ولا يقفون على كلام أهل العلم في إنكار المنكر وأذكر هنا في أحد الدروس قام أحد الطلاب معترضاً على الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي فلماذا يسكت العلماء وما هو دوركم ؟ ولماذا لا تنكرون المنكر؟!

فأجابه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما أدراك أننا لا ننكر المنكر ولم نأمر بالمعروف بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يستمع له وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكر المنكر. فكانت هذه إجابة حكيمة من



الشيخ أنقلها للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم، في كل عصر ومصر، ممن يتهمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر، وتسمع أيضاً هؤلاء مداهنون لماذا ؟ لأننا لا نشاهدهم ينكرون على الولاة من على المنابر، أو في المحاضرات، وتصوره أن الإنكار إذا لم يكن على الأسماع وعلى المنابر فليس بإنكار!!

وهذا تصور خاطئ لأن العلماء لهم نظرة شرعية فهم يتعبدون الله فيما ورد في السنة الصحيحة من النصيحة سراً ويجلي هذا الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسأنقل كلام سماحته بتصرف يسير يوضح المراد يقول: ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر، ولا ينفع ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء، الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير...

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ألا تنكر على عثمان ؟! قال: أأنكر عليه عند الناس! لكن أنكر عليه بيني وبينه ولا أفتح باب شر على الناس . ولما فتحوا باب الشر في زمن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأنكروا على عثمان جهرة أطلت الفتنة وبدأ القتال والفساد وقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية وقتل علي بأسباب ذلك وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وحتى قتلوه ولا يزال الناس في آثار ذلك إلى يومنا نسأل الله العافية[1] .

(١) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ٩٨.



أحد الأدعياء يقول في خطاب له بعنوان (إيضاح من الناطق الرسمي للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية) يقول: أما رأيي الشخصي فهو أن الشيخ ابن باز قد وصل إلى مرحلة من الخرف والسفه والضعف التام ولكنني لم أر منه كفراً بواحاً لدي عليه برهان من الله سبحانه !! ... ثم يقول: لم أتعرض لعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإنما ذكرت الحقيقة بأنه كان رجلاً ساذجاً، وليس عالماً، وتبنى مواقف وقضايا ساذجة، تتناسب مع سذاجة القوم في نجد في تلك الأيام، ولم أهاجمه شخصياً وحسابه على لله .... ثم يقول عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنني أعتبر معاوية مغتصباً وإنني أعتقد أنه سيلقى جزاءه من الله يوم القيامة على ما ارتكبه من جرائم !!

يقول هذا عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو من كتاب الوحي للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !! فطعن هذا الأفاك الأثيم فيه طعن في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي كتاب الله وكفى بذلك خزياً.

معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة[١].

يرى هذا الأفاك معاوية مغتصباً!! والشيخ محمد بن عبد الوهاب ساذجاً، فهل السذاجة عنده هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك التي هي أساس الملة ودعوة المرسلين !!

وأما الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو عنده قد وصل إلى مرحلة من السفه والخرف والضعف التام ! وسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنذاك يفتي الناس ليل نهار،

---

(١) الفتاوى (٤/ ٤٧٨).



ويجلس للدروس المعتادة من الفجر حتى يتعالى النهار، والعلماء وطلبة العلم يتلقون عنه، فهل خفي ما يقول هذا المجرم على هؤلاء الأعلام من العلماء وطلبة العلم؟! وعلمه هذا الضال المضل !!

هل تصدقون: أنه وجد من يتساهل مع هذا الأفّاك وأمثاله، مسوغاً لنفسه أن هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! فإن قلنا لهم:

اتقوا الله! لا ترموا شبابنا في أحضان من يقع في العلماء ويكفرهم بل يكفر من لم يكفره الله ورسوله!

اتقوا الله! لا خير في منهج يبدأ بالطعن في العلماء، ونزع الثقة منهم، وينتهي بسفك الدماء المعصومة والتكفير والتدمير !

اتقوا الله! لا يتخذنكم المنحرفون مطية بالعزف على آلام الأمة وجراحها ليصلوا إلى مآربهم!

اتقوا الله ! لا تخدعوا الشباب السذج، بحجة الغيرة على الإسلام وعلى دماء المسلمين وأعراضهم!

إن قلنا لهم ذلك قالوا :كلامكم هذا يقدح في الجهاد والمجاهدين !! وتخاذل عن نصرة المستضعفين!

قلنا لهم: ويحكم!! من هذا أوتيتم، فكان ما ترونه من الفتن، والبلاء، وترويع الآمنين، ولو أنكم تمايزتم وغرتم لله ولدينه حقاً ثم صدرتم عن الأكابر من أهل العلم أهل الغيرة والبصيرة لما رأيتم هذه النتائج !



مع التأكيد جداً أيها الأخوة والأخوات:

أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[1]. وأن الجهاد فريضة عظيمة هي ذروة سنام الإسلام وقبته[2] ونسأل الله العظيم أن ينصر كل من جاهد في سبيله لإعلاء كلمته في مشارق الأرض ومغاربها آمين.

يا طالب الحق:

راجع هذا الكلام مرة أو مرتين وثلاثاً لتفهم المراد أما قائله فقد وضع نصب عينيه أن الناس لن يغنوا عنه من الله شيئاً وليعرض هذا الكلام برمته على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فالحق أحق أن يتبع والله المستعان.

عوداً على بدء:

تذكروا أن الجناية على العلماء خرق في الدين ولهذا قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ (ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل).

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته[3].

وقال أحمد بن الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من أكابر الذنوب، الطاعنون في العلماء لا يضرون إلا أنفسهم، وهم يستجلبون لها بفعلتهم

---

(١) رواه البخاري ٦٠١١ ومسلم ٢٥٨٦ من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد ٢٢٠١٦ والترمذي ٢٦١٦ من حديث معاذ بن جبل.

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨).



الشنيعة، أخبث الأوصاف وهم شرار عباد الله بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل (خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت)[١] وهم عرضة لحرب الله تعالى القائل في الحديث القدسي (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب)[٢] وهم متعرضون لاستجابة دعوة العالم المظلوم عليهم فدعوة المظلوم ولو كان فاسقًا ليس بينها وبين الله حجاب فكيف بدعوة ولي الله الذي قال فيه (ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)[٣].

قال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته واجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة لأن الوقيعة فيهم بما هم منه برءاء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم وقال أيضًا: ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٤] [٥].

❋❋❋

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة ٢٨٤٩.

(٢) رواه البخاري ٦٥٠٢

(٣) رواه البخاري ٦٥٠٢.

(٤) تبيين كذب المفتري ٤٩.

(٥) النور الآية ٦٣.



من مخاطر الطعن في العلماء

التسبب في تعطيل الانتفاع بعلمهم وقد نهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سب الديك لأنه يدعو إلى الصلاة[1] فكيف يستبيح قوم إطلاق ألسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش![2]

ولا ينحصر شؤم الوقيعة في العلماء في ولائم السوء التي تشيع فيها الغيبة والنميمة، لكن يتعداها إلى آثار خطيرة في واقع الأمة، فالشر مبدأه شراره، ومعظم النار من مستصغر الشرر، وكثير من الفتن تبذر بذرتها في مجالس الغيبة، والوقيعة ولا يتوقع أصحابها أن تبلغ ما بلغت، ثم تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى، وإذا بها تشتعل وتضطرم رويداً رويداً حتى يستعصي إطفاؤها على الذين أوقدوا شرارتها فهؤلاء الغيابون أكلة لحوم العلماء خاصة، والمسلمين بعامة، هم الذين وصفهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **(إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)**[3].

تأملوا هذا الكلام في آثار القدح والكلام في العلماء إلى أن يصل إلى ما ذكرت

---

(١) رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة) وصححه الألباني في الجامع الصغير ٧٣١٤.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٣٦٦ .

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٣٣ وصححه الألباني في السلسلة ١٣٣٢ .



من سفك الدماء، والفتن وربما أنكر البعض بعد ذلك وكان صادقاً في إنكاره على ما يرى من سفك الدماء ... لكن! لو فتّش ومحّص لوجد أنه واقع في بعض ما يفضي إلى ذلك ولو بعد حين من التسامح مع أصحاب المناهج المنحرفة عن الجادة، بحجة النصرة للمسلمين أو بالوقيعة في العلماء ونحو ذلك من البلايا وهي التي تنتج في النهاية مثل هذا البلاء .

هاك شاهداً تاريخاً يدل على أنه ربَّ قول يسيل منه دم :

قال أبو معبد عبد الله بن عكيم الجهني - تابعي جليل - قال في خطبة له: لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان فقال رجل متعجباً: يا أبا معبد أو أعنت على دمه؟! فقال أبو معبد: إني لأرى ذكر مساوئ الرجل عوناً على دمه[(١)] .

ولقد قال رسول الله ﷺ **(إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)**[(٢)] وحين علم حذيفة رضي الله عنه بمقتل عثمان رضي الله عنه قال: اللهم العن قتلته وشتّامه، اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك سلماً إلى الفتنة اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف[(٣)] .

تأمل رعاك الله لهذا الكلام المهم لترى إرهاصاته في واقعنا، فمخاطر تغييب العلماء عن الساحة عاقبته أليمة، فإذا خلت الساحة من أهل العلم والتقى اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، يفتونهم بغير علم، وإذا أفتوهم بغير علم فلا تسل عن الحرمات التي تستباح والدم المعصوم الذي يهراق والعرض الذي ينتهك،

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٨ ومسلم ٢٩٨٨ مختصرا.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ١٣٢).



والمال الذي يهدر، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين وما يقع فيها من مجازر ومذابح بأيدي الأدعياء الذين استبدوا برأيهم، وتأولوا بأهوائهم وركبوا رؤوسهم، ولم يصغوا إلى نصائح العلماء، تنبئك أحوال بلادهم عن مخاطر تغييب العلماء وقطع الصلة بينهم وبين الشباب، إن العلماء هم عقول الأمة والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرة بالبقاء .

وتأمل يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة :

أن الوقيعة في العلماء والطعن في أعراضهم، ورميهم بالمداهنة أو تغييبهم عن الساحة ليس وليد الساعة وليس في هذا الزمن فحسب حتى لا يقال: الوضع الآن يختلف! ألا ترى المنكرات! العلماء تغيروا! ... الخ

نقول: سبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة ولكل قوم وارث!! فقد ذكر ابن جرير الطبري أن عبد الله بن سبأ كان يكتب لأتباعه: ابدؤوا في الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر(١) . هكذا هم مع العوام من المسلمين والعامة لطيب قلوبهم وجهلهم وحسن الظن بهم ينخدعون بكلامهم وكان الأمراء من العلماء وعثمان من علماء الصحابة.

وخذ مثالاً آخر:

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد العزيز العنقري في رسالة إلى بعض الإخوان لما رأوا منهم انحرافاً عن الجادة وطعناً في العلماء وعزماً على الخروج وننقل منها ما يعنينا في هذا المقام.

(١) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٤٠-٣٤١).



ولكن انظر إلى الرسالة بطولها لأهميتها في الدرر السنية المجلد التاسع الصفحة التاسعة والتسعين بعد المائة وفي الرسالة: ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين اتهام علماء المسلمين بالمداهنة وسوء الظن بهم وعدم الأخذ عنهم وهذا سبب لحرمان العلم النافع والعلماء هم ورثة الأنبياء، في كل زمان ومكان، فلا يتلقى العلم إلا عنهم فمن زهد في الأخذ عنهم ولم يقبل ما نقلوه فقد زهد في ميراث سيد المرسلين واعتاظ عنه بأقوال الجهلة الخابطين الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة والعلماء هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف، أخذ عن الدين عن أهله (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم)[(١)] فأما من تعلق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المحققين، ولم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه وربما قال حجتنا مجموعة التوحيد، أو كلام العالم الفلاني وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام، فإن هذا جهل وضلال - سبحان الله !! كأنهم يتكلمون عن بعض ما يحصل الآن - ومن المعلوم أن أعظم الكلام وأصحه كلام الله العزيز، فلو قال إنسان: ما نقبل إلا القرآن وتعلق بظاهر لفظ لا يعرف معناه أو أوّله على غير تأويله، فقد ضاهى الخوارج المارقين، فإذا كان هذا حال من اكتفى بالقرآن عن السنة فكيف من تعلق بألفاظ الكتب، وهو لا يعرف معناها، ولا ما يراد بألفاظها، والكتب أيضاً فيها من الأحاديث الصحيح والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فإذا لم يأخذ العامي عن العلماء النقاد، الذي هم من الحديث بمنزلة الصيارفة للذهب والفضة، خبط خبط عشواء وتاه في واد جهالة عمياء ... ثم قالا: إذا عرف هذا تبين أن الذي يدعي أنه يستغني بمجموعة التوحيد عن الأخذ عن علماء المسلمين مخطئ ! لأن النبي

(١) قول التابعي الجليل محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ



ﷺ ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء، فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، وسألوهم وأخذوا بفتواهم فضلوا وأضلوا عياذاً بالله .

وكذلك انظر رحمني الله وإياك في رسالة الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنى للأهمية ولتعلم أن لكل قوم وارثًا والله المستعان.

وأختم بمثالين ونصيحة، مثالين على بركة الرجوع إلى العلماء والإصغاء والاستماع إليهم خاصة وقت الفتنة:

عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ينطلق إلى الخوارج فيناقشهم، ويناظرهم ويفند شبهاتهم بالكتاب والسنة - والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه[1] وهو بإسناد صحيح على شرط مسلم وفيه قول ابن عباس (أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشًا فإن الله يقول ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾[2] قال ابن عباس: وأتيت قومًا لم أر قومًا قط أشد اجتهاداً منهم، مسهمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنّى عليهم، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلّمنّه ولننظرن ما يقول، قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثًا، قلت ما هنّ؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3] وما للرجال وما للحكم، فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم

(١) الحاكم (٢/ ١٥٠-١٥٢).
(٢) الزخرف الآية ٥٨
(٣) يوسف الآية ٤٠



يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفّاراً لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة ؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: أعندكم سوى هذا ؟ قالوا: حسبنا هذا، فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم ! فقلت: أما قولكم: حكّم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، في أرنب ونحوها من الصيد فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾[1] إلى قوله ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[2] فنشدتكم الله: أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟! وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصيّر ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾[3] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم! قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة!! ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟! فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أمكم ولئن قلتم: ليست أمنا كفرتم فإن الله يقول ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[4] فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم! وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن

---

(١) المائدة: آية ٩٥.

(٢) المائدة: آية ٩٥.

(٣) النساء الآية ٣٥.

(٤) الأحزاب الآية ٦.



ترضون وأريكم، قد سمعتم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمير المؤمنين: أكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: لا والله! لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة).

والشاهد من هذه القصة: أن ألفين من الخوارج رجعوا عن باطلهم بالإيضاح والبيان الذي حصل من ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفي ذلك دليل على أن الرجوع إلى أهل العلم فيه السلامة من الشرور والفتن وقد قال سبحانه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1] ومما يدل على أن الرجوع إلى العلماء خير للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم تأمل المثال الثاني:

روى مسلم في صحيحه عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس - أنظر إلى الورَع! الحج أولاً ثم يبدأ إطلاق النار! - قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله جالس إلى سارية يحدث القوم عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا هو قد ذكر الجهنميين[2] يقول: فقلت لجابر: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي

(١) الأنبياء الآية ٧.

(٢) الجهنميون: هم الذين يدخلون النار من أهل التوحيد بمعاصيهم ويحترقون ما شاء الله أن يحترقوا، ثم يخرجوا منها ويدخلوا الجنة ولأن هناك من أهل المعاصي من يغفر الله له بمشيئته لا يدخل النار أصلاً ومنهم من يدخله النار ثم يكون مآله إلى الجنة وحديث الجهنميين لا يوافق رأي الخوارج .



تحدثون؟ والله يقول ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[١] ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[٢] فما هذا الذي تقولون؟ قال: فتقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: فهل سمعت بمقام محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي يبعثه فيه؟ قلت: نعم قال: فإنه مقام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال: فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس - وهذا كله خلاف ما يعتقدون - قلنا ويحكم: أترون الشيخ يكذب على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!! قال: فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد[٣].

الله أكبر!! من لقاء واحد مع العالم الرباني تركوا الباطل الذي هم عليه وانزاحت عنهم الشبهات فرجعوا إلى الحق.

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم[٤].



(١) آل عمران الآية ١٩٢.

(٢) السجدة الآية ٢٠.

(٣) رواه مسلم ٢٨٢.

(٤) جامع بيان العلم (١/ ١٢٧).



نصيحة

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ومحبة العالم دين يدان الله به، قال أبو عمر ابن عبد البر: الهلاك معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك وفيه الهلاك(١).

يا طالب الحق:

هذه جادة السلف سقتها لك في هذا الباب، مدبجة بالنصوص والآثار فالزمها ففيها النجاة كل النجاة بإذن الله تعالى، ويا من زلت به القدم في القدح بالعلماء، تذكر أن قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كل بني آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون)(٢).

فارجع يا أخي من قريب، وتب إلى الله توبة نصوحا فإن الله يقول ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾(٣) وفر من تلك المجالس فرارك من الأسد، فدينك دينك، والجادة الجادة ولا يمنعنك غلظة في عبارة، أو قسوة في كلمة، من قبول الحق فما ثم والذي نفسي بيده إلا النصح ومن القلب بإذن الله.

وقد قال جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (بايعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة قال: واشترط علي (والنصح لكل مسلم)(٤) وقال بأبي هو وأمي

---

(١) جامع بيان العلم ص ٤٧ .

(٢) رواه أحمد ١٣٠٤٩ والترمذي ٢٤٩٩ وابن ماجه ٤٢٥١ .

(٣) النساء الآية ١١٠.

(٤) رواه البخاري ٢٥١٣ ومسلم نحوه ٨٣.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الدين النصيحة - قالها ثلاثًا - قلنا لمن يا رسول الله قال (لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم)[1].

وظني بك يا أخي أنك رجّاع إلى الحق، فأعد عرض هذا الكلام على قلبك وتنبه له، أرشدك الله لطاعته.

أما من ركب رأسه من أهل الأهواء ودعاة الفتن الذين ديدنهم، اعتقد ثم استدل، وليس العكس فحالنا معهم، نقوله بصوت عالٍ مسموع نقول عن حالنا بحمد الله ومنهجنا:

تزول الجبال الراسيات وقلبه ... على العهد لا يلوي ولا يتغيرُ

ونحن ولله الحمد في غنىً تام عن كل منهج يخالف منهاج النبوة في الإصلاح والدعوة، فهذه أسانيدنا متصلة بالأكابر من علمائنا إلى النبي المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء .

وفزت بالمنهج الأسمى فلذت به ... ولم يعد يغتويني أي تيار

نهج النبوة ما أزكى مشاربه ... جنيت بالسير فيه حلو أثمار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن له لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى[2].

وقد اجتمعت هذه الصفات وأكثر منها من الخصال الحميدة في إمام أهل السنة في زمانه، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ -نحسبه والله حسيبه- فما أحوجنا إلى هذه السيرة العطرة لإمام عاش واقعنا، وصدَق من قال فيه من

---

(١) رواه مسلم من حديث تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم ٨٢

(٢) الفتاوى (١١/ ٤٣).



علمائنا: لو ساغ امتحان الناس بشخص في هذا الزمان لمعرفة من يكون من أهل السنة من غيرهم، لكان الأحق والأولى بذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واضعـًا نصب عيني أنه لا يجوز أن ينصب للأمة شخص كائن من كان عالمـًا فما دونه يوالى ويعادى على موافقته بالقول والفعل إلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لـولا عجائب صنع الله مـا نبتت   تلك الفضائل في لحم ولا عصب





ختاماً

إن وطئة الأهواء في هذا الزمن كثيرة، وسبلها متكاثرة، وقد تلبست وتدثرت بدثار الغيرة على الدين، ومن ألأم تلك الأهواء خطة كافرة المنبت، تسليط المطاعن على العلماء، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم، وهذا من أوسع أودية الباطل، التي يخوضها المبطلون جهاراً نهاراً، ألا إن النفير خفافاً وثقالاً لنثل السهام من كنانة الحق المبين، للرد على هؤلاء وأمثالهم ونقض شبههم وكشف فتونهم هو من حق الله على عباده وحق المسلمين على علمائهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم

اللهم اختم لنا بأفضل الشهادة في سبيلك

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



